المقـدمة

لم يكن أحد ممن عارضوا فن القصة فى مبدأ الأمر يتوقع أن تكتب لها تلك المكانة، بحيث استطاعت أن تسابق الشعر وتسبقه، وأصبح لها جمهور كبير يتطلبها فى الصحافة والكتب، وزاد عدد مؤلفيها، وتنوعت أشكالها ما بين شكل يحرص على تقاليدها الأولى، وشكل يخرج على هذه التقاليد، فى محاولات متنوعة تنوع فلسفتها الجمالية التى تكمن وراءها.

وهذا الكتاب رصد للاتجاهات التجديدية فى القصة القصيرة يسبقه فصل صغير عن الشكل التقليدى، يكشف عن ظروفه التى يلاقيها، ويومئ إلى مستقبله.

وكما أن الشكل التقليدى قد انحرف عند البعض إلى مجال التسلية وتكلس عند آخرين، فكذلك الشكل الجديد قد أصيب عند البعض بتشتت التصميم، وضياعه فى بحر

من الغموض والهلامية، وأصيب عند آخرين بنوع من التقليد للجديد، والشغف بتصيد مواقف الغثيان، وحشد صور الكوابيس والرعب.

ولكن هذا لا يعنى أن العيب فى «الجديد» لذاته فنقفل على أنفسنا تيار المعاصرة، فشيئان يضمنان الخلود: الموهبة والاستجابة لمنطق التجديد. إننا نقرأ لطرفة أو للمتنبى أو للمعرى فتصيبنا جذوة الفن عندهم بالاتقاد والحرارة، وتخلق فينا حالة قريبة من الحالة التى كان عليها المتنبى أو المعرى، ونتحد معهم فى عالم هو عالم الفن، على الرغم من البعد الزمنى والحضارى.

قد نمتع بعالم المعرى أو طرفة، أكثر من متعتنا بقصائد لشاب معاصر تخلو من التفرد والابتكار، وإن حاول صاحبها أن يكدس عليها من الأشكال الجديدة وأن يلتمس لها وسائل التجميل من هنا وهناك. ولكن لاشك أن موهبة كموهبة المعرى أو طرفة لو أتيحت لشاب يستجيب للمعاصرة، ومنطق التجديد فإنها ستصير أشد خصوبة، بمعنى أن عالم الفن وإن كانت له استثارته الخاصة، يختلف

باختلاف الزمن الذى يمثل بعدا له أهميته، وهذا الاعتبار لا يحط من فنية المتنبى أو المعرى فقد أخلصا لزمنهما وامتصا ما فيه، ولكنه يحط من فنان اليوم إذا افتقده، لأنه حينئذ يفتقد شيئًا من زمن اليوم، تمامًا كما يفتقد النبات شيئاً من أشعة شمس الصباح، فالحياة للإنسان ليست طلوع الشمس ثم غروبها وإلا لتساوت أمامه كما تتساوى أمام الحجر، من بدء الخليقة إلى نهايتها، ومن أيام المعرى إلى عصرنا. ولكنها تعنى للإنسان بعدًا آخر - لا يقل أهمية عن أهمية الشمس للنبات - وهو محتويات ما بين طلوع الشمس إلى غروبها، وهو الشىء الحقيقى الذى لا يلمس، ولكنه يضيف لونا يفرق بين يوم ويوم، وهذا الشىء هو الذى يفرق بين الإنسان والنبات، وبين إنسان أمس وإنسان اليوم. والفنان الذى يريد أن يخلد هو الذى يستطع أن يضيف إلى موهبته الإحساس بهذا الشىء، والاستجابة للمنطق المتجدد مع كل طلوع شمس.

إن المعاصرة أساسًا هى الارتباط بالاهتمامات الحضارية، ثم بعد ذلك تتنوع أساليب التعبير تنوع الموهبة، وتنوع الاستكشاف الذى تتوصل إليه شخصية الفنان، وهنا نقطة

التفرد والاختلاف بين فنان وفنان، وهنا المقياس الحقيقى الذى يفصل بين الفنان والمحترف، ومن ثم نجد تنوع المعاصرة عند الكتاب العالميين بتنوع مواهبهم التى لا يحبسها قسر ولا تقليد. إن كافاويبكيت وسفيفو وجرييه وسارتر وكامى وناتالى وفوكنر وفرجينيا وبروست، يصدرون من موقف المعاصرة ويستجيبون للهموم الحضارية المشتركة، ومع ذلك فإن لكل منهم ذاتيته وطريقته، حتى إن أوجه الاختلاف تفوق أوجه الاتفاق، لأن الفنان أولاً وقبل كل شىء ذاتية وتفرد.

وهذه الدراسة لا تطبق قوالب مسبقة ومتجاوزة، بل إنها تترك التجربة الفنية تتحدث عن نفسها وتفرض لغتها. ومن هنا لا أفضل شكلاً على شكل، لأن الموقف هو المسيطر وهو الذى يحدد الشكل، ومن ثم لغة النقد. فحين التعرض «للقصة الإقليمية» وقف النقد ضد الاتجاهات التجريدية، لأن الموقف هنا يقتضى شكلاً ينقل نبض الواقع ويتزاحم بالأحداث، ويجسد الإقليم بكل رائحته الشعبية وعبقريته المكانية. وحين التعرض لقصة «الاستكناه الباطنى» وقف النقد ضد الذين يضمنون قصصهم شيئاً من

الواقعية، ويهتمون برسم الشخصية وسرد الأحداث، لأن الموقف هنا يقتضى شكلاً تجريديًا يصبح - فى حالة نجاحه - صورة طبق الأصل للباطن، فى تدفقه وسيولته.

إن النقد هنا لم يفقد أصالته ولم يتجاف عن المنهجية، ولكنه أباح لنفسه قدرًا من المرونة تختلف باختلاف الموقف، وتتغير لغتها مع تغير الشىء المنقود. ففى الحديث عن «الاتجاهات التقليدية»، كانت لغة النقد تقليدية أيضًا، ومن خلال مصطلحات عن العقدة والشخصية والحدث والصراع والنهاية.. وفى الحديث عن «الاتجاهات التجديدية» لم تكن اللغة من خلال مصطلحات قد حفظت فى الموسوعات وكتب النقد، بل كانت لغة متجددة تجدد المشروع الذى يتراءى فى ذهن الفنان، فهل استطاع هذا النموذج على الورق أن يكون صورة مثلى للمشروع؟ ولماذا استطاع ولماذا لم يستطع؟.

والموقف هو الذى يفسر أيضًا اختلاف مستوى النقد هنا من كاتب لكاتب. لأن القاص الذى يعرض عمله أمام النقاد يفرض عليه لغة النقد ومستواه. فإذا كان العمل

واهيا فإن مستواه يتسرب إلى لغة النقد، ويصاب الناقد بالبطء والوهن، أما إذا كان قاصًّا خصبًا فإن الناقد يدخل معه ميدانًا واسعًا، تتفجر فيه ينابيع النقد كما تفجرت من قبل ينابيع الفن، ويخوضان معًا - الناقد والقاص - تجربة العصر بإيقاعاته الجديدة، ويقومان بشركة مساهمة يقتسمان فيها الأرباح بالتساوى، أما الشركة المفلسة فكل جهد الناقد فيها أن يتلافى الخسارة ما استطاع، ولكنه لن ينجو منها بالتمام والكمال.